تأمّل في إنجيل متى (٢٣:١٨-٣٥)

للخوري جوزيف سويد

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

الذكرى السادسة لانطلاقة جماعة "أذكرني في ملكوتك"

رعيّة مار تقلا –سدّ البوشرية

٢٠١٦/٢/١٨

باسم الآب والابن والرّوح القدس، الإله الواحد، آمين.

إخوتي الأحبّة، تحتفل الكنيسة بعد انتهاء كلّ زمن ليتورجيّ بالعيد. وعندما نتكلّم عن احتفاليّة، يفتِّش الإنسان عن ماهيّة الاحتفاليّة وماهيّة العيد، وماهيّة المناسبة. ويحاول أن يكوِّن أفكاراً معيّنة ليتكلّم عن أجواء العيد، وعن مناسبة العيد، والفكرة الأساس منه، وكلّ ذلك ضمن إطار إنجيليّ معيّن مُنَسَّق، لكي يصِلَ لكلّ إنسان جواب شافٍ ووافٍ عن العيد. واليوم هناك عيد ومناسبة وهي الذكرى السادسة لتأسيس جماعة **"أُذكرني في ملكوتك"**، التّي إنطلقت بذرة صغيرة في حقل رعيّة مارت تقلا، سدّ البوشريّة. هذه البذرة بدأت تنمو في أيّام الخميس من كلّ شهر، وكان من المفترض أن تَقتَصر على قدّاسٍ واحدٍ في الشّهر، لكنّنا رأينا أنّه من الأفضل أن تصبح القداديس بطريقة أسبوعيّة وذلك لما فيه من خير للرّعيّة. وقد لاحظنا أنّ قداسة الحبر الأعظم قد ركزّ في إعلانه عن يوبيل سنة الرّحمة على الفعل السابع الذّي هو كيفيّة زرع الرّجاء في عالم الموت، وخاصّة في قلوب المحزونين، من خلال مرافقتهم ومؤاساتهم والحضور معهم، وزرع بذرة الرّجاء في قلوبهم وفي حياتهم اليّوميّة. إنّ هذه الجماعة تعتمد على الصلاة من أجل إخوتنا الموتى. في الحقيقة، هذه البذرة التي اسمها "أُذكرني في ملكوتك" لم تبدأ هنا، في هذه الكنيسة أو في رعايا أخرى، لقد زُرعت هذه البذرة أوّلاً في جبل الجلجلة، وهناك زُرعت بذرة "أُذكرني في ملكوتك". على هذا الجبل الذّي يسمى"جبل الجماجم"، جبل الجلجلة أو الجمجة، حيث كان يُرمى بالأشخاص الذّين كانوا يُعتَبرون أنجاساً ويستحقون السخريّة، ويتمّ تعريتهم بالكلام الجارح ونظرات الإدانة ثمّ يُترَكون في هذا المكبّ الذّي يدعى جبل الجلجلة. هناك زُرعت البذرة الأُولى للحياة، لذا علينا إخوتي، أن نعي أهميّة هذا الضجيج الذّي بدأ من هذا المكان المنسيّ، البائس، هذا المكان الذّي فيه نرى كلّ حضارة الموت. في هذا المكان، زَرع ملك المجد، سيّد الحياة، خالق الكون، ما يُرى وما لا يُرى، ربّ المجد،

بذرة الحياة. والأجمل من ذلك، أنّه من بين صرخات المسيح السَبع على الصليب، تلك الصّرخة، صرخة المجد التّي سمعناها في أذن المسيح وما زالت تتردّد في آذاننا إلى اليوم على مرّ السنوات: هناك على ذلك الجبل، صرخ المجرم الذّي صُلب عن يمين يسوع قائلاً له: "أُذكرني في ملكوتك"، وأتاه الجواب الرائع من الرّبّ: "اليوم تكون معي في الفردوس". وكم يصرخ الإنسان التعس إلى الرّبّ "أُذكرني في ملكوتك"، وكم من مرّة نسمع صدى صوت الرَّبّ الحنون الرّحوم، محبّ البشر، محبّ الخطأة، يقول لنا "اليوم تكون معي في الفردوس". وانظروا كيف أنّ الرّبّ خضّ وزلزل بعد موته، هذا الجبل البائس، وأعطى أجمل ما يمكن لإنسان أن يحصل عليه، عندما يعرف أنّه لا يستّحق شيئاً، وبالرّغم من ذلك يسمع مع كلّ الذّين سبقوه وكانوا ينتظرون تلك اللّحظة، لحظة الدّخول إلى الملكوت:"اليوم تكون معي في الفردوس". وكم نحن اليوم في حنايا هذه الكنيسة، علينا أن نُرَدِّد هذه الكلمة ونقول من على منبر كنيسة مار تقلا سدّ البوشريّة. هذه الرّعيّة التّي يتواجد فيها عالم الموت بقوّة، والتّي فيها نفوس يائسة، حيث الرّجاء مفقود والتعاسة تسيطر على بعض الأشخاص، وكذلك البؤس والشقاء في حياة إخوتنا العراقيين الموجودين في أرض رعيتنا الذّين مرّوا بأيّام صعبة وكذلك من الإخوة السوريين. هؤلاء الأشخاص الذّين يحبّون الرّجاء، يفتقدونه في العالم اليوم، في زمن مليء بالبؤس. في قلب هذا العالم، تأتي بذرة الحياة، ويأتي يسوع ليسقيها. فعندما تقول للرّبّ "أذكرني يا ربّ"، يأتي الرّبّ ليسقي صرختك هذه إليه، بذرتك الذّي زرعتها في هذه الأرض، ويقول لك "اليوم تكون معي في الفردوس". اليوم إخوتي، نحن في الاحتفاليّة السادسة، لأنّنا محبوبون، مُفتَقدون، مَرحومون. هذا الشقاء والبؤس اللذّان تعيشهما البشريّة بأسرها، لا نستطيع الاستمرار في تَبَنيهما، بل علينا كسرهما فنقول:"أين شوكَتُكَ يا موت، أين غلبتك يا جحيم؟ موت الرَّبِّ أضحى حياةً، أصبح نصرُنا أكيداً". لماذا؟ لأنّه هكذا ربُّ المجد أراد.

إنجيل اليوم يضعُنا في هذا الإطار، إطار الرّحمة، إطار الدينونة، إطار الغفران والمسامحة الرّهيبين. أنا، الإنسان، أقف أمام هذا الملك الرحيم، المجنون برحمته. يأتي إليه، في هذا الإنجيل، هذا الشخص المديون له بسِتّين مليون دينار، أي ستّين مليون يوم عمل. مَن يستطيع تجميع مثل هذا المبلغ ليدفعه للملك كَدَين؟ وهنا بالتّالي يريد كاتب هذا النّصّ الإنجيليّ، متّى، أن يقول لنا: اعلم يا إنسان أنّك لن تستطيع دفع دينك بالرّغم من جنى عمرك كلّه، وبالرغم من إستعداداتك كلّها، وبالرّغم من تعبك كلّه، وبالرّغم من عرقك كلّه الذّي سيتساقط في سعيك لتحصيل هذا المبلغ، حتّى وإن عملت ثماني وأربعين ساعة، في الأربع وعشرين ساعة، فأنت غير قادر على دفع هذا المبلغ الكبير، سِتُّون مليون دينار مهما فعلت، فالعمر كلّه لن يكفيك لكي تتمكنّ من دفع دينك. إذاً الدينار هو أجرة يوم عمل واحد.

وستون مليون دينار تساوي ستين مليون يوم عمل. نحن الآن، يمكننا أن نتوقّع قوّة هذه الأزمة الكبيرة الموجود فيها هذا العبد: إذ إنّه عبد مسكين، وهو بالتّالي لا يمكنه أن يفي دينه للملك. يقول النّصّ "إذ لم يكن له ما يوفي به دينه، أمر سيّده أن يُباع". أراد السيّد أن يبيع هذا العبد هو وامرأته وأولاده إضافة إلى كلّ ما يمتلكه. في الأساس هو عبد، وهو الآن سيُباع. وما الذّي يمكن أن يمتلكه عبد؟ لا شيء. سيُباع مع كلّ ما يملك لِيَفي دينه. وبالرّغم من ذلك، فهو لن يتمّكن من إيفاء دينه، لن يفي أيّ شيء. لكنّ عندما خرَّ هذا العبد على ركبتيه، وسجد للملك، وتَوَسَلَه وطلب منه مهلةً ليفي دينه، أعفاه سيّده من كلّ دينه. ما أجمل هذه الكلمة المستعملة في النّصّ:"إمهلني"، أعطني وقتاً. كلّنا اليوم نبحث عن وقت. الوقت والعمر كلّهما ليسا كافيين لكي يَفي العبد الدَين للملك حتّى وإن أمهَلَهُ. ترى ما الذّي كان سيحدث لو قرّر فعلاً هذا الملك أن يبيع العبد، ويضعه في السّجن. كيف يستطيع إنسان مسجون أن يفي دينه؟ مَن سيَفي عنه دينه؟ بالطبع لا أحد. لذلك هذا السيّد تحنّن على ذلك العبد، وأطلقه حُرّاً وأعفاه من كلّ دينه، وسامحه بكلّ المبلغ. إخوتي من يقوم بهكذا عمل سوى الإنسان المجنون؟ وحده فاقد الصّواب يفعل ذلك. وعندما أُطلق هذا العبد حرّاً، وعاش الاختبار نفسه الذّي عاشه الملك معه، عِوض أن يكون قلبه مغموراً بالمجد والفرح والنّشوة الروحيّة، وعِوض ألاّ يرى في حياته إلاّ الرّحمة الكُبرى التّي غمَرَهُ بها سيّده أو مَلِكَه، عندما التقى رفيقه العبد، طالَبَه بإيفاء الدَّين. هذا الرفيق يشبهه، إنّه عبد ومديون أيضاً لرفيقه بمئة دينار، وهذا يعني مئة يوم عمل أي ثلاثة أشهر ونَيِّف من العمل. أمسك هذا العبد رفيقه وشدّ على عنقه طالباً منه أن يوفيه كلّ دينه حالاً، غير أنّ الرفيق المديون توَسّل رفيقه العبد الدائن، وقال له الكلام نفسه الذّي تفوّه به العبد الدائن أمام الملك. أنظروا معي إخوتي إلى هذا المثل الرائع الذّي أعطاه يسوع:"أمهلني وأنا أُوفِيكَ." طلب منه مهلةً لكنّ العبد الدائن رفض رفضاً قاطعاً. "ومضى وطرحه في السِّجن حتّى يَفي دينه". أنظروا إلى قساوة قلب هذا العبد، لقد تمكّن من أن ينسى في وقتٍ قصيرٍ جدّاً ما قام به الملك تجاهه. هذا الملك الذّي أعفاه، أحبّه، ورحِمَه وافتداه وسامحه، وحرّره لأنّه توسلّ إليه. تَصَرُّف العبد المرحوم مع رفيقه المديون، أحزن كلّ العبيد رفقائهما، وأحزن الكثيرين من الذّين رأوا هذا المشهد المرعب. إخوتي، كم من المشاهد في مجتمعاتنا اليوم، تشبه هذا المشهد؟ أُنظروا كم أنّ الله رَحِمَنَا، وأعطانا الصّحة، وأعطانا الوقت، وأعطانا أكثر ممّا نستحِقّ. أنظروا إلينا نحن البشر، كيف نتصرّف في أصغر المشاكل! أُنظروا كيف تتصرّف فينا بذرة الموت! وأنظروا إلى هذا االوحش الموجود داخلنا كيف يتصرّف! أُنظروا إلى الغريب الذّي يسكن فينا، هذه الرّوح النّجسة، كيف تَجعلنا نتعرّى من إنسانيتنا! وأُنظروا ما سيحدث، بحسب النّصّ الإنجيليّ عندما شكا رفاق هذا العبد ما حدَث للملك، دعاه

الملك وقال:"أيّها العبد الشِّرير، لقد أعفيْتَك من كلّ دينك لأنّك توّسلتَ إليّ. أما كان عليك أن ترحم أخاك، رفيقك كما رحمتك أنا؟ "أنظروا إلى زمن الرّحمة هذا، في هذا الإنجيل الرائع، إلى هذا الأب الحنون الرّحوم:"كونوا رُحماء كما أنّ أباكم السّماويّ رحيم". ألم يكن عليك أن تتصرّفَ مع رفيقِكَ كما تصرّفتُ أنا معك؟ أما كان عليك القيام بالأمر نفسه مع رفيقِك! ألهذه الدرجة ما عدتَ تتذكّر ما صنعتُه لكَ منذ وقتٍ قصير؟ هنا تأتي دينونة الملك لهذا العبد: لأنّك لم ترحمْ أخاك كما فعلتُ أنا معك، فسوف تفي لي ديني كلّه. والنّصّ يقول إنّ سيّد هذا العبد قد غضب، وسلّمه إلى الجّلادين ليفيَ دينَه بأكمله. إنّ الدينونة ستكون قاسية: "هكذا يفعل بكم أبي الذّي في السّماوات"، الدينونة آتية لا محالة.

الله يُريد أن يرحم، الله سوف ينظر إلى روزنامة حياة كلّ شخصٍ منّا، ويرى إذا كانت تستحقّ هذه الروزنامة، إذا كان هذا الوقت ممتلئاً من أعمال الرّحمة، سيرى كلّ الأعمال التّي ملأت هذه الروزنامة، هذه الساعات والأيّام، أكانت مليئة بأعمال رحمة؟ أكانت هذه الأعمال ناتجة عن إنسان طيّب القلب، ناتجة عن قلب طيّب تائب؟ إنّ الله سيرى إن كانت هذه أعمال مستندة على رغبة فيك كرغبة لصّ اليمين على الصّليب: "أُذكرني يا ربّ في ملكوتك". إذا كان لدينا الرغبة في قلوبنا لنَرحم كي نُرحم، إذا كان لدينا رحمة، إذا كان لدينا رغبة، وطيبة قلبٍ تجعلنا ننسى إساءات الآخر لنا. المشكلة هي أنّنا، نحن البشر، لا نعرف أن ننسى، نريد من الله أن ينسى، لكنّنا نحن لا نريد أن ننسى. نحن نحاسب ونغضب، لكنّنا لا نعرف أن ننسى، فقضايانا تنام في الأدراج لأنّنا في الوقت الحالي غير قادرين على المحاسبة. ونجعل من أنفسنا ظاهرياً أناساً طيبيّ القلب، إذ نُقنع أنفسنا بأنّنا تناسينا الموضوع، موضوع إساءة الآخر لنا، لكنّنا عندما نرى الشخص المذنب إلينا، نجرحه بنظراتنا، نُجَرّح به بكلامنا أمام الجميع، ونُعَرّضُ كرامة هذا الشخص للإهانة. إخوتي، إنّ هذا الوضع هو وضع كثيرين منّا، لذلك سيكون الوضع سيئاً جدّاً يوم الدينونة، إن لم نغفر كلّ واحدٍ منّا لأخيه من كلّ قلوبنا.

إخوتي، علينا الاختيار بين بذرة الموت وبذرة الحياة. الدينونة أمامنا والرّحمة كذلك، علينا أن نختار. الرّوح النّجس يطوف في أماكن لا ماء فيها، والرّوح القدس يطوف في أماكن لا ماء فيها، فعلينا اليوم الاختيار بين روح الله القدّوس والرّوح النّجس. علينا أن نختار أنريد أن نكون مَرحومين، في يوم الدينونة، عندما نقول للرّبّ "أذكرني في ملكوتك"، أسيقول لنا إنّه كان بانتظارنا وإن عنقودنا قد استوى وخمرتنا طيّبة، وإنّ الرّبّ سيقطف منها، أي من ثمار أعمالنا،

ليضع من عناقيدنا على مائدة القديسين والأبرار وذلك لأنّنا نستّحقّ الجلوس مع الأبرار؟ أسيقول لنا الرّبّ إنّنا سنكون من الأبرار، لأنّه "كان غريباً، وعطشاناً، وجائعاً، عرياناً، سجيناً ومريضاً، وأنّنا قد رأيناه وأحسَنّا إليه"، وأنّه عندما أحسَنّا إلى إخوة الرّبّ، المساكين ورحمناهم قد كنّا في الوقت ذاته نرحم الرّبّ؟ أسيقول لنا إنّنا من الأبرار لأنّنا نسينا كلّ ما علينا للآخرين من ديون وأنّنا رحمناهم وأحببناهم؟ لذلك أقول لكم اليوم إخوتي إن بذرة الموت أمامنا، وكذلك بذرة الحياة أيضاً. علينا أن نختار أن نكون أولاد الرّجاء، ونكبر بالرّجاء إذ نعلم أنّ الله يريدنا كي نكون علامات رجاء، في قلب واقعٍ مريرٍ حيث النّاس محبطة والذّل يحيط بنا في الدولة والمؤسسات، كلّ ما هو حولنا يحنح، يتّجه صوب إلغاء الآخر وعلينا أن نشعر أنّنا محبوبون من الله، فنتمكّن من الوقوف في وجه صعوبات عالمنا اليوم، كما كانت مريم عند أقدام الصّليب.

في هذا الاحتفال، أريد أن أحييكم إخوتي من أجل محبتكم وصلاتكم لأجل كلّ إخوة يسوع الذّين توفّوا ونفوسهم عطشانة إلى الصلاة. وأريد أن أشكركم باسمهم لأنّكم لا تعرفون كم أن مئات الأشخاص يقطرون حبّاً كلّ أسبوع، على أفئدة وعلى أرواح هؤلاء النّاس، وكم أنّ صلاتكم قادرة على أن تعطي الخلاص للعديد من الأنفس المتألمة في المطهر. بصدقٍ أقول لكم إنّه في كلّ قداس يقام لأجل الأنفس (المطهريّة) التّي هي بحاجة إلى صلاة، وبالتّالي نتيجة هذه الصلوات تُنتشل هذه الأرواح من واقعها المرير لكي تلتحق بالأبرار والصدّيقين. تخيّلوا إخوتي معي هذا المشهد، كيف أن يد الله الرحومة ويد مريم، وكذلك القدّيسين، تنتظر بشوقٍ لكي تُفرِغ هذا المكان التاعس أي (المطهر) من النفوس المتألمة. تخيّلوا معي إخوتي هذا الأمر: نحن اليوم ما يُقارب المليار ونصف مسيحيّ في العالم، لو قرّر كلّ منهم تقديم صلاة يوميّة على نيّة شخص بحاجة لصلاة، أو لنفس بحاجة إلى صلاة، تخيّلوا أنّ هناك مليار ونصف نفس تصل إليها صلواتنا يوميّاً. وتخيّلوا ذلك لمدّة سنة كاملة، وبمعادلة حسابية: مليار ونصف ضرب ٣٦٥ يوم، ولو أنّنا جميعاً كنّا جدّيين في صلواتنا من أجل هؤلاء، لَفَرِغَ الجحيم من الأنفس المعذبة فيه. ٣٦٥ مليار نقطة عزاء في قلوب هؤلاء النّاس، إنّه رقم ليس بصغير أبداً. صلاتنا اليوميّة لأجل هؤلاء تُفرغ (المطهر) من تلك النّفوس المعذّبة، وتوقع إبليس وملائكته في أكبر كارثة، وتُعرّضه لفقدان صوابه، ولا أدري ما الذّي سيفعله ليتجنّب مثل تلك الهزيمة. لكن السؤال هل نحن فعلاً جدّيين في صلواتنا؟ ربما لا، ولرّبما لو كان عددنا أكثر، لحاولنا دعوة آخرين للصلاة، وإخبارهم كم أنّ تلك النّفوس (المطهريّة) بحاجة لصلواتهم، إذ لا يكفي أن يكون هناك فقط ٢٠٠ شخص يصلّون لأجل الأنفس (المطهريّة) والأنفس المنقطعة. يمكننا أن نكون ملياراً ونصف شخص. هذا الأمر يتطلّب وعياً، ومن الممكن

أن نكون بحاجة إلى شخص إستثنائي مثل قداسة البابا الذّي قال: "ضعوا الرّحمة قيد التنفيذ"، تفضّلوا، وضعوها على أرض الواقع إذ إنّنا إكتفينا كلاماً عن الرحمة، والآن علينا وضعها قيد التّنفيذ. وفكرة "أذكرني يا ربّ متى أتيت في ملكوتك"، هي وضع الرّحمة قيد التنفيذ. لماذا؟ إنّ أجمل عمل رحمة نقوم به، هو أن نرحم تلك النّفس التّي هي في حالة من التّوبة، التّي تتألمّ، تتأوّه، تترّجى أن نذكرها في صلواتنا. وأنا أعتقد أنّ البابا لم يطلب شيئاً غريباً، إذ يدعو إلى أن يقفوا دقيقة صمتٍ واحدةٍ من أجل الصلاة على نيّة نفس، من أجل خلاص نفس. إنّ ذلك على ما أعتقد ليس بالأمر المستحيل. إنّ هناك بشكل يوميّ مليار ونصف صلاة تُتلى لأجل هذه الأنفس.إنّها لفرحة كبيرة جدّاً، إنّها السّماء بذاتها وهذا ما تعنيه عبارة "ليأتِ ملكوتك". هذا الأمر يعني أنّنا كنّا يمين الله الجبّارة القويّة، كنّا صوت الله، قلب الله وفكر الله. فما يفكرّ به الله هو خلاص أولاده. ونحن ما علينا إلاّ القيام بعمل رحمة يوميّ، عمل رحمةٍ صغير يوميّ لأجل خلاص نفس ضعيفة، مقهورة، مذلولة، تتألمّ، تتأوّه. إخوتي، إن لم تُصَلّوا أنتم اليوم من أجل تلك النفوس، من كلّ قلوبكم، فَمِن الممكن أن لا تجدوا من سيصلّي لكم بعد انتقالكم من هذه الأرض، لخلاص نفوسكم.

وفي ختام كلمتي سأردّد كلمة، كنت قد قلتها في هذه المناسبة سابقاً، وسأردّدها اليوم أيضاً من على هذا المذبح: إن لم نصلِّ اليوم وبكثرة، وإن لم نعَلِّم أبناءَنا أيضًا الصلاة من أجل الأنفس (المطهريّة) والمنقطعة، والتّي هي بحاجة إلى صلاة، وإن لم نصرخ هذه الصرّخة من عمق قلوبنا:"أُذكرنا يا رّبّ متى أتينا في ملكوتك"، فسوف يأتي يوم، لن يُصَلّي فيه أبناؤنا وسوف تنقطع سلسلة الصلاة هذه، سلسلة الخلاص التّي يريدها يسوع وكذلك أمّه مريم. هذا ما أراه عند الكبار، إنّهم يصلّون من أجل أمواتهم، أمّا الصغار فهم لا يصلّون إذ لا اختبار لهم. لكن علينا نحن الكبار أن نُوصل اختبارنا إلى الصّغار. هذه الفكرة ليست أُمنية إنّما هي حاجة، وسوف نَصِل إلى مرحلةٍ في يومٍ من الأيّام ونتمّنى لو أنّ تلك السلسلة، سلسلة الخلاص امتدّت من أجلنا ومن أجل أحبائنا، ولن نجد أحداً من أولادنا يصلّي لنا. وذلك لأنّنا لم نعلّم أولادنا الصلاة من أجل النّفوس المنقطعة والأنفس (المطهريّة)، ولم نحفّزهم على الصلاة من أجلهم، ولم ندرّبهم على الصلاة. لذلك علينا أن نضع هذه الصلاة قيد التّنفيذ. علينا أن نضع الرّحمة وأعمال الرّحمة قيد التنفيذ، وكذلك هذه الصلاة الرحومة. وكم أتمنّى لو أنّ تعليم هذه الصلوات يتحقّق. آمين.

ملاحظة: دُوّنت العظة من قبلنا بتصرّف.